الفكر الجغرافي المعاصر

المبحث الاول: اتجاهات جديدة في الجغرافية الحديثة

ظهر من الدراسات السابقة ان الذي تحقق على ايدي العلماء الالمان امثال كانت kanet وكارل ريتز وفون هامبولت وغيرهم ساعد فيما بعد غيرهم من العلماء في المانيا وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة والذين ظهوروا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على تباين وجهات النظر الجغرافية في هذه البلدان وغيرها مما ادى الى ظهور مدارس جغرافية قومية ووطنية من شأنها ان تتبنى افكارا جغرافية متنوعة .

وهذا ما جعلنا نتكلم عن هذه المدارس بصبغتها القومية والوطنية ودرجة تأثرها بأراء الاساتذة الاوائل فيها او في غيرها من البلدان الاوروبية ومدى استقلالها عن غيرها وما اهم الآراء التي تميزها وأشهر علمائها.

المدارس الجغرافية الحديثة:

1-المدرسة الجغرافية الالمانية:

يرجع الفضل في استعادة الجغرافيا الالمانية لنهضتها الى كل من فرينايدي فون ريشتهوفن وفردريك راتزل، وقد أكد ريشتهوفن في كتاباته على تأثير البيئة على السكان وحياتهم بينما أكد راتزل على العوامل الطبيعية وعناصر البيئة التي يعيشها الانسان وقد تتلمذ على يديهما الكثير من الطلبة، كما يمكن الاخذ بأراء هنتز لمعرفة اتجاه الجغرافيا الالمانية خلال المدة التي سبقت الحرب العالمية الاولى.

فالجغرافية برأيه ليست علماً عاماً للأرض ولكنها علم اقاليم سطح الارض وهي تعني بدراسة العلاقات المتبادلة بين الانسان والطبيعة وتشتمل هذه الدراسة الوصف والتفسيرات التي تأتي عن طريق التحليل والمشاهدة الميدانية.

ولقد كان الاهتمام في المدة التي تلت ذلك والممتدة ما بين سنتي (1905-1914) بالجغرافيا الطبيعية اكثر من اهتمامها بالجغرافيا البشرية ومن خصائص هذه المرحلة زيادة الدراسات الميدانية مثل دراسة افريقيا جنوب الصحراء ، وقد اهتم الالمان اثناء الحرب العالمية الاولى بدراسة المواقع الحربية والحدود الطبيعية التي شكلت البدايات الاولى لعلم الجيوبوليتيكس Geopolitics فيما بعد . اذ أنشأت مجلة الجيوبوليتيكا على يد الاستاذ كارل هاوسهوفر والتي اصبحت مصدراً أساسياً في توجيه الافكار السياسية النازية في المانيا ، كما اهتمت الجغرافيا الالمانية بما يسمى بالمجال فهو من وجهة نظرهم الامتداد الكافي لظاهرة معينة سيما الجماعات الاثنوجرافية .

وعلى الرغم من ان الجغرافيا الالمانية خضعت خلال المدة (1932-1939) الى تأثير الحكومة النازية ومع هذا تقدم فرع الخرائط ورسمت الاطالس بمفاتيح توضح الوصف الطبيعي والتقييم العسكري للظاهرات المبينة على الخرائط، وفي سنة 1941 تأسست الجمعية الجغرافية الالمانية واتخذت لها مجلة عرفت باسم (مجلة علم الارض) .

ولعل من ابرز الخصائص التي تميزت بها المدرسة الالمانية عن غيرها من المدارس الاوربية الاخرى هي:

1- اعتماد الاساس الحديث للجغرافيا الالمانية على همبولت وكارل ريتز ، اذ ساعدا بإخراج الجغرافية من الحقول الاخرى لاسيما الفلسفة والتاريخ.

2- معظم الجغرافيين جاءوا من اقسام اخرى وكانت اسس المعرفة لديهم حسب تخصصاتهم ولذلك تأثرت كتاباتهم الجغرافية باختصاصاتهم الاولى.

3- اخراج الدراسة الجغرافية من الحيز الوصفي الى الدراسة الميدانية .

4- تأثر الجغرافية الالمانية بالظروف السياسية للبلد سيما بعد الحرب العالمية الاولى مما ادى الى اضطراب وظيفتها في خدمة الجانب العلمي.

5- ركزت الجغرافية اهتمامها على الجانب الطبيعي اكثر من الجانب البشري سيما في بداياتها الاولى .

6- استقرت الجغرافية الالمانية بشكل نهائي بعد الحرب العالمية الثانية وبدأت تشق طريقها بعيداً عن السياسة في الحكم.

المدرسة الجغرافية الامريكية:

تأثرت الجغرافية الامريكية بشكل عام في القرن التاسع عشر بالأراء الجغرافية الاوربية وتم التركيز على الجغرافية الطبيعية والبشرية فضلاً عن ظهور الاهتمام بالجانب الاقليمي ومن اهم انصار هذه المدرسة (مس سمبل التي تأثرت بمفاهيم راتزل الأنثروبولوجيا .

فالجغرافيان وليم ديفز ومس سامبل ركز الاول منهما على الجغرافية الطبيعية بينما ركز الاخر على الجغرافية البشرية في كتابه ابحاثهما) ومع ذلك اثرت الجغرافيا الامريكية التي قادها وليم ديفز في الجغرافيا الالمانية من الناحية المنهجية ،حيث تبنى بنك نظامه

التطوري لتصنيف اشكال سطح الارض وتأثرت الجغرافية الامريكية بالمقابل بأراء الجغرافيين

الأوروبيين مثل اراء كوين في المناخ وارااء الباحثين الالمان والروس في تصنيف التربة.

ومما لا ريب فيه ان الكثير من الجغرافيين الامريكيين قد قلدوا كتابات الجغرافيين الانكليز

رغم ان الجغرافيين الانكليز قد قلدوا غيرهم من الجغرافيين الاوروبيين ،فالآراء التي حملها

هربرتسون معه من دراساته في المانيا اثرا ضئيلا في انكترا لغاية امد قريب نسبيا .

اما بالنسبة الى اساتذة الجيل الثاني فانه من ابرز الجغرافيين الذين تتلمذوا على يد الاستاذ

ديفيز الاستاذ هنتكتون الذي اهتم بالجيولوجيا في بداية حياته الوظيفية الا انه تحول الى

دراسة المناخ وتأثيراته على الانسان وألف كتابه الشهير (الحضارة والمناخ) واهتم بتأثير

التعاقب الجفافي على الجغرافية البشرية والتاريخية لقارة اسيا، وكان يعتقد ان تفوق المانيا

حضارياً وصناعياً يرجع الى مناخها المنعش ولقد انتقدت نظرياته باعتبار ان محتواها غير

واقعي.

ومن الجغرافيين الذين برزوا في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الاستاذ

ايزايا بومان Isaiah Bowman الذي تأثر بأراء ديفز واهتم بدراسة النباتات والتربة

والغابات ونشر ابحاثاً في الجغرافية البشرية والطبيعية ،وقد تراس بومان الجمعية الجغرافية

الامريكية وظل رئيساً لها لأكثر من عشرين عاما (1917-1935) وهكذا فان الأساتذة

الاولئل الذين ظهوروا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين استطاعوا ان

يؤسسوا كيان المدرسة الجغرافية الامريكية.

4-المدرسة الجغرافية الفرنسية:

للمدرسة الجغرافية الفرنسية تأثير كبير على الجغرافيا والاقسام الجغرافية الاخرى في اكثر جامعات العالم ومن اهم اساتذة هذه المدرسة فيدال دي لابلاش وجالوا ودي مارتون وغيرهم وقد تأثرت اعمالهم التي قدموها للجغرافية بثلاث حالات وهي:

أ- اعطاء الجغرافية مكانة مهمة اذ عدوها حلقة الوصل ما بين العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية .

ب- تقدم الدراسات العليا وتسلم الجغرافي للوظائف الحكومية المتقدمة.

ت- تقدم الاطار النظري للجغرافية وذلك عن طريق الدراسات الاقليمية والبشرية والطبيعية.

وقد اهتمت المدرسة الفرنسية بالإنسان والمجتمع ويعد فيدال دي لابلاش المؤسس الحقيقي للجغرافيا الفرنسية والذي فصل الجغرافيا عن التاريخ واهتم بالجغرافيا البشرية بينما كانت الجغرافيا الطبيعية تدرس ضمن الاقسام العلمية. ولقد وضع لابلاش منهجاً قائماً على ستة مبادئ اعتبرت الاساس في الجغرافيا الفرنسية التي بقيت سائدة حتى الربع الاول من القرن الحالي وهي :

1-وحدة الظواهر الطبيعية اي اعتمادها على بعضها البعض.

2-ملاحظة التغييرات التي تطرأ على الظواهر الطبيعية لاسيما ما يرتبط بالمناخ.

3-اهتمام الدراسات الجغرافية بجميع الظواهر الموجودة على سطح الارض.

4- الحاجة الى الاعتراف بقوة البيئة وتأثيرها على الانسان .

5- الحاجة الى طريقة علمية للتعريف بالظواهر الطبيعية والبشرية المختلفة وتقسيمها.

6- الاعتراف بدور الانسان في اجراء التعديلات الخاصة ببيئته الاساسية.

وقد تبنت المدرسة الفرنسية اقسام الجغرافية الاتية:

1- الجغرافيا الاقليمية:

اهتمت المدرسة الجغرافية الفرنسية بالدراسات الاقليمية وكانت هذه الدراسات مقدمة من قبل أساتذة فرنسيون عن منطقة حوض باريس والاقاليم الطبيعية والاسماء الجغرافية ، وقد ساعدت الجمعيات الجغرافية المتعددة على تعزيز الدراسات الاقليمية وقد صدرت في هذا المجال الكثير من المجلات والمقالات.

2- الجغرافية البشرية:

امتازت المدرسة الفرنسية بالتأكيد على الجغرافيا البشرية انطلاقاً من ايمانهم بالفكرة التي تجعل له قدرة التأثير على البيئة، وهذا ما يسمى بالفكر الجغرافي بالإمكانية ومن اهم الأساتذة الذين اهتموا بهذا الفرع من الجغرافيا دي لابلاش وتلميذه برين كما ساهم ديمانجون بدراسة الجغرافية البشرية وقد ركز اهتمامه حول مسألة تطور العمران الريفي الفرنسي .

وكان للدراسة البشرية عند ديمانجون اربعة مظاهر رئيسة :

الاول -انواع الحياة في المناطق الطبيعية الرئيسية في العالم سواء على اساس المناخ او

النبات او التربة .

الثاني- انواع اساليب الحياة التي يتخذها الانسان في الجمع وصيد الحيوان او الزراعة او تربية الحيوان والصناعة و التجارة.

الثالث- توزيع العمران البشري وكثافته وحدوده وطبيعة الهجرات البشرية .

الرابع- انواع المساكن التي يقيمها الانسان .

وقد رفض ديمانجون افكار الحتمية فالنجاح بالزراعة لا يتوقف على عامل التربة فقط وانما يرجع الى نشاط الانسان الزراعي وبراعته وتوفير المياه للري ...الخ وهو لا ينكر بهذا الجانب الطبيعي انما يرى الجغرافية البشرية يمكن ان تقوم على الوحدات الاقليمية الطبيعية. كما اهتمت الجغرافيا الفرنسية بدراسة المدن اذ قام ديمانجون بدراسة مدينة باريس موقعها وظروفها البيئية وسكانها وتطورها التاريخي، اما في مجال الجغرافيا السياسية فقد اشتهر الاستاذ سيجفريد الذي ترجمت مقالاته الى لغات عديدة، وقد ادت الجمعيات الجغرافية دوراً كبيراً في نشر فكرة التوسع الاستعماري الفرنسي وقدمت دراسات عديدة بعد خسارة حرب السبعين عن المستعمرات الافريقية الاستوائية والمدارية والصحاري الحارة.

3-الجغرافيا الطبيعية:

تطورت الجغرافيا الطبيعية بشكل اقل من الجغرافيا البشرية واول من بذل جهوده العلمية في هذا الجانب دي مارتون الذي الف كتاب (بحث في الجغرافيا الطبيعية) كما اشتهر الاستاذ بلانشر بدراسته لجبال الالب وبوليج بدراسة التحليلية للهضبة الفرنسية الوسطى وخاصة

الجوانب التعرؤية فيها ،ويؤكد بلانشار على اثار العوامل الطبيعية في الاقتصاد البشري، اما بوليج فيتجه في ابحاثه نحو الجيومورفولوجية ، وقد توقفت الدراسات الميدانية اثناء الحرب واستمرت الدراسة للجغرافيا الطبيعية بعد الحرب بتلكىء للاضطراب السياسي والاقتصادي العام في فرنسا.

المدرسة الجغرافية الانكليزية

لا يمكن عد الجغرافية الانكليزية خلال القرن التاسع عشر متطورة ومتقدمة لان الجامعات البريطانية لم تهتم الا بشكل محدود بالجغرافية، ومع ذلك ظهرت الجمعية الجغرافية الملكية في وقت مبكر سنة 1828 مما ادى الى تشجيع حركة الكشف الجغرافي وارسال المكتشفين لارتياح القارات والاراضي المجهولة وركوب البحور والمحيطات للحصول على المعلومات الجغرافية ، فظهر عدداً من الجغرافيين الذين اخذوا على عاتقهم تطوير الجغرافيا في بريطانيا امثال (السير رودريك) الذي تولى رئاسة الجمعية الجغرافية واكد على الجوانب الجيولوجية والاسس الطبيعية للجغرافية .

وقد تأثرت الجغرافية بأراء الاستاذ فون همبولت وكارل ريتز ودارون ، وفي نهاية القرن التاسع عشر ظهر احد المدرسين في الجغرافية (هالفورد جون ماكندر) الذي بحث في مزايا الجغرافية كفرع علمي وشجع الطلبة على فحص العلاقات القائمة بين الظواهر الطبيعية والبشرية وجاء بتعريفين مختلفين للجغرافية الاول (هو علم التوزيع الذي يتبع تنظيم

الاشياء بشكل عام على سطح الارض والثاني هو العلم الذي يتتبع التفاعل القائم بين الانسان والمجتمع بقدر ما تتأثر بيئته الطبيعية المحلية .

وقد تأثر ماكندر بآراء المدارس الفرنسية والالمانية وقد ساعدت كتاباته في ظهور نظرية قلب الارض التي استندت على الاسس والمضامين الآتية:

1-ان من يسيطر على شرق اوروبا يتحكم في قلب الارض

2-ان من يسيطر على قلب الارض يتحكم بجزيرة العالم

3-ان من يسيطر على جزيرة العالم يسيطر على العالم بأكمله

الاتجاهات الجديدة في المملكة المتحدة

ظهر اتجاه جديد في المدرسة الجغرافية البريطانية وهو الميل نحو الجغرافية العلمية حيث ظهر هذا الاتجاه قبل الحرب العالمية الثانية مما عجل البحث العلمي في الجغرافية انتاج الكتب والمقالات العلمية وترجع تغيرات المجرى الجغرافي في المملكة الى الأسباب الآتية :

1-ان التقدم في المعرفة الجغرافية حصل خلال تنوع اشكال البحث العلمي الذي تم

استعماله في المواضيع الجغرافية ، وعلى الرغم من تقدم الجغرافية الا انها لاتزال متأخرة

في التقدم العلمي قياسا بالولايات المتحدة

2-نتيجة تطور طرق البحث الجغرافي اختلفت الجغرافيا عما كانت عليه سابقاً ومن ابرز

التغييرات التي ظهرت تغير وتطور الهيكل النظري للظاهرة المدروسة ، فقد نشأت

دراسات جغرافية اعتمدت الموديلات التي تتألف من اشكال مختلفة تستعمل بعد تأثير

مدينتين على المسافة الواقعة بينهما وهذا ما يعرف بقانون نيوتن، فضلا عن استعمال المعادلات الرياضية والكمية الى جانب الطرق الوصفية .

وعلى الرغم من ان استخدام الطرق الرياضية قد لاقى معارضة وصعوبة في بادئ الامر الا ان اكثر النظم الرياضية والاحصائية غايتها اكتشاف العلاقات الموجودة ضمن وحدة الدراسة حيث تتعلق معظم الدراسات الجغرافية بدراسة المشاكل ذات المحتوى المكاني.

المدرسة الجغرافية العربية المعاصر:

الجغرافية العربية في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20:

لم يحصل خلال هذه المدة تطور ملحوظ في الفعاليات الجغرافية والكارتوغرافية لخضوع العراق والدول العربية الاخرى الى الدولة العثمانية او للدول الاوربية الاخرى، وبعد وصول حملة نابليون الى مصر ظهرت مؤلفات جغرافية عن الرحلات ، وبعد فتح السودان ظهرت كتب ومعلومات وصفية عن نهر النيل والمناطق الوسطى من افريقيا ثم زادت المعلومات الجغرافية البشرية والطبيعية لكثرة الرحلات التي ساعدت على اكتشاف الكثير من المناطق في افريقيا .

وقد تأسست الجمعية الجغرافية المصرية سنة 1875 التي كان من ابرز اعضائها (محمود باشا واسماعيل باشا) ان نشؤ هذه الجمعية حقق جملة من الاغراض الجغرافية منها: دراسة الجغرافية وفروعها من خلال تشجيع حركة الكشوف الجغرافية. الكشف عن البلدان الافريقية التي لاتزال غير معروفة تماما. نشر الابحاث الجغرافية في المجلة التي تشرف عليها . تأسيس مكتبة تضم ابرز الكتب الجغرافية المحلية والعالمية بلغات متعددة وتطوير المناهج الجغرافية التي تدرس في المدارس.

الجغرافية العربية بعد الحرب العالمية الاولى (1918 - 1950)

تتمثل هذه لمدة بما يأتي:

ظهور الجامعات والكليات في الاقطار العربية التي تضم الاقسام الجغرافية والتاريخية مما اسهم في تطور المعرفة الجغرافية بكافة فروعها سيما الاقليمية والبشرية ولعل من اهم رواد وأساتذة هذه الجامعات (السيد مصطفى عامر من جامعة القاهرة الذي اهتم بالجغرافية الاقليمية والدكتور محمد عوض الذي اشتهر بالاهتمام بالجغرافية البشرية والدكتور سليمان الحزين المتخصص بالجغرافية البشرية والتاريخية) .

اما في العراق فكان من اشهر الجغرافيين (طه الهاشمي المتخصص بالجغرافية الاقليمية والعسكرية والاستاذ عزيز سامي المؤلف لكتب الجغرافية لمرحلتى الدراسة المتوسطة والابتدائية... الخ) وهكذا ازداد عدد الاساتذة المختصين في الجغرافية من العراقيين بعد ان اكملوا دراستهم في الجامعات الامريكية والبريطانية وتأسست الجمعية الجغرافية العراقية سنة 1961 واصدرت مجلة دورية تناولت قضايا قومية وعربية وتنموية.

ومن اهم ما امتاز به الجغرافيون خلال هذه المدة كفاءتهم العلمية ولم يكن هناك ميل نحو التخصص اذ كان الجغرافي يكتب في جميع المجالات الجغرافية .

ورغم ظهور متخصصين الا من الصعوبة اعطاء صورة للفكر الجغرافي العربي في هذه المدة لأننا لم نجد كتباً قام بتأليفها الجغرافيون العرب لتوضيح الافكار الجغرافية واتجاهات المدارس العربية خلال المدد السابقة والمدة التي اعقبت نشؤ اقسام الجغرافية العربية .

وان معظم الجغرافيين في النصف الاول من القرن العشرين اهتموا بالجوانب الاقليمية المحلية والعالمية وفحص العناصر الجغرافية العامة، وقد اتبعت خلال هذه المدة الطريقة الادبية والوصفية في معالجة الموضوعات الجغرافية كما في كتابات (الدكتور محمد عوض محمد).

ج-الجغرافية العربية المعاصرة ما بين (1951-1965):

تمثلت هذه المدة برجوع اكبر عدد من الجغرافيين الشباب العرب من الخارج ممن تتلمذوا وأكملوا تدريباتهم الجغرافية في المدارس الأوروبية والأمريكية ، وقد اهتم الجغرافيين العرب خلال هذه المدة بالأفكار القومية وإظهار المتشابهات بين الوحدات السياسية للوطن العربي قياساً بالمتشابهات الإقليمية لمناطق الدراسة.

وبدأت الجغرافية العربية الاهتمام بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والقومية للوطن العربي ، وظهرت دراسات مفصلة عن السكان والزراعة والصناعة ، ونستنتج من خلال ذلك ان اهتمام

الجغرافية العربية بدأ يتجه نحو التخصص وبدأت هذه الدراسات المفصلة والمتخصصة بفروع الجغرافية تسعف الدولة بحلول للمشاكل المتعلقة بقطاعاتها المختلفة .
كما واخذت الدراسات الاقليمية طرقاً جديدة وهي الاهتمام بموضوع معين ودراسته بشكل تفصيلي والبحث عن المؤثرات والتفسيرات التي تبرز المعلومات الجغرافية.